



سوسيولوجيا رواية "بريد الليل" لهدى بركات بناءً إلى نظرية لوسيان غولدمان

Sociology of the novel "Barid al-lail" by Hoda Barakat, based on Lucian Goldman's theory

سيد أحمد موسوي پناه	محمد حمادي	مهران معصومي	عبد الوحيد نویدی*
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران	الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران	خريج الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، إيران	أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
s.ahmadmosawipناه@scu.ac.ir	translator@gmail.com	masoomi@gmail.com	A.v.navidi@scu.ac.ir

ملخص:	معلومات المقال
يُعد تحليل العلاقة بين الأعمال الأدبية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية أحد الأساليب العملية في بحوث علم الاجتماع. ومن هذا المنطلق، قام البحث الحالي بتحليل رواية "بريد الليل" تحليلًا وصفيًا من منظور علم الاجتماع الأدبي، استنادًا إلى آراء لوسيان غولدمان. تظهر النتائج أن الرواية المذكورة قد صورت العديد من المكونات الاجتماعية في لبنان ما بعد الاستعمار المعاصر بما في ذلك تفشي البطالة في حياة الطبقات الدنيا من المجتمع، والنظرة الاحتقارية لأفراد الطبقة العليا تجاه أفراد الطبقة الدنيا، وظاهرة أزمة الهوية، والنظرة الذرائعية والشهوانية للنساء المهاجرات اللبنانيات، والحروب الأهلية وظهور داعش وما نتج عنها من فقدان الأمن الشخصي والاجتماعي.	تاريخ الارسال: 2024/10/31 تاريخ القبول: 2024/11/28
	الكلمات المفتاحية: ✓ هدى بركات ✓ بريد الليل ✓ لوسيان غولدمان ✓ علم اجتماع الأدبي
Abstract :	Article info
Analyzing the relationship between literary works and social, political, economic and cultural conditions is one of the practical methods in sociological research. The present study deals with the descriptive analysis of the novel "Night Post" from the perspective of literary sociology based on the views of Lucian Goldman. The results show that this novel depicts many social components in contemporary post-colonial Lebanon. Such as the unemployment of the lower classes of the society, the contemptuous look of the upper class on the lower class, identity crisis. An instrumental and lustful look at Lebanese	Received 31/10/2024 Accepted 28/11/2024
	Keywords: ✓ Huda Barakat ✓ Barid al-lai ✓ Lucian Goldman

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

لطالما شكلت الآثار الفنية والأدبية اللغة المعبرة عن الكثير من الأحداث التي تقع تحت جلد المجتمعات البشرية. وراهنًا بطريقةٍ ما تعد الآثار الأدبية معبراً ومعالجاً في مجال نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات، إذ حققت الأعمال التفسيرية في قالب الشعر والقصة، هذا الهدف. وخلال القرن الأخير تمكنت الرواية وفي أنواع مختلفة أن تتطرق إلى بيان حقائق حياة الانسان. ووفق تعبير ميشيل زرافا «ليس ثمة فن أو جنس آخر من الأدب مثل الرواية يمكن اعتباره يتضمن حقائق عديدة حول الوجود الإنساني».¹ فالروائي خلال توضيح هذه الحقائق في البداية «يحلل معلومات الحياة الاجتماعية ومن ثم يفسرها ويحاول تحديد خصائصها الضرورية حتى يتسنى له نقلها أثناء الكتابة بشكل جيد».² وتأسيساً عليه قبل أن تكون الرواية نتاجاً للخيال فهي انعكاس للواقعية؛ فجوهرها وجودتها اللازمة تكمن في تفسير العلاقة القائمة بين الأمور الواقعية والأمور التخيلية. حيث أن نقد ودراسة هذه الحقائق في الرواية وإمطاة اللثام عن الأحوال الاجتماعية يفضي إلى إقامة اتصال بين فرعي علم الاجتماع والأدب، والذي أوجد في نهاية المطاف فرعاً متعدد التخصصات تحت عنوان «علم الاجتماع الأدبي». وغالباً ما تنتهي دراسة الآثار الأدبية من منظار علم الاجتماع إلى تحليل وكشف البيئة الاجتماعية والرؤية الثقافية والظروف السياسية والتاريخية وكذلك الاقتصادية للمجتمع (وفي الغالب مجتمع مؤلف الأثر الأدبي)، ولذلك «علم اجتماع الأدب هو علم اجتماع مفاهيم مثل السلطة السياسية والسلطة العائلية والقيم الأخلاقية، والترعة المادية والاقتصادية والمثالية. والخدمة والخيانة والشجاعة والحماسة والإيثار والديماغوجيا ومئات المفاهيم الأخرى»³ مفاهيم تشكل جوهر الحياة البشرية وتفضي إلى تبلور الوقائع الكبيرة مثل الحرب والثورة والاستعمار والنمو وتختلف المجتمعات. وفي النقد الأدبي السوسيولوجي، يتناول الناقد من خلال دراسة محتوى العمل وبنيته وكذلك تحليل حالة المجتمع وظروفه التي جرى نقاشها في القصة، يتناول العلاقة الجدلية بين العمل الأدبي والمجتمع؛ «وفي هذا الأسلوب من النقد، يجري دراسة الأثر الأبّي وتقييمه من منظار رأي يرى أن ثمة آصرة حية لا تنفصل عراها تربط المجتمع والفنان وعمله الأدبي»⁴ ويرى عالم الاجتماع الروماني والمنظر الماركسي لوسيان غولدمان (1913-1970م) أن أي مجموعة اجتماعية تسمى

1. زرافا، ميشيل، (2007)، علم الاجتماع للأدب القصصي (الرواية والواقع الاجتماعي)، ترجمة نسرين برويني، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر سخن، ص 145.

2. زرافا، نفس المصدر، ص 11.

3. اسكاريبت، روبير، (1997م)، علم اجتماع الأدب، ترجمة مرتضى كنّي، الطبعة الثانية، طهران: منشورات سمت. ص 7.

4. ميرصادقي، جمال، (1998)، قاموس فن كتابة القصة، طهران: دار نشر كتاب مهنار، ص 267.

عامل فوق الفردية (العامل الجماعي) و«خلق ابداعات فنية هو عمل جماعي وليس فردياً، مثل الكاتب الذي يمنحه شكلاً فنياً، وفي الحقيقة خالق الآثار الفنية هي الطبقات الاجتماعية»¹ لعالم الاجتماع غولدمان رؤية علمية حول الحياة الاجتماعية للعامل فوق الفردي ودراسة سلوك هذا العامل وظروفه. ووفق هذه الرؤية «يتضمن ذلك القسم من حياة الانسان الذي يمتلك عامل فوق فردي كل ما يندرج في سلوك الناس اجتماعياً وتاريخياً بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُراد بذلك على الخصوص كل ما يتعلق بأفعال الناس في العالم الطبيعي والاجتماعي مثل المأكل والحماية وتنظيم العلاقات بين البشر والثورات والحروب وغيرها. وحسب هذه النقطة، أي الحياة الثقافية برمتها لاسيما كل ابداع أدبي قيم»² ووفق هذه الرؤية، فالكاتب يضطلع بدور الوسيط بين الأثر الأدبي والمجتمع، ويعبرُ الأثر عن نوع الرؤية الكونية للعامل فوق الفردي. ويعتقد غولدمان: «لا يمثل الكاتب مرآة عاكسة محضة للوعي الجمعي، لكن ثمة أصرة راسخة تقوم بينهما. إذ يتساقط أثره مع الميول واتجاهات الوعي الجمعي، وعليه يكون اجتماعياً بشكل عميق.»³ يتناول البحث الحالي دراسة رواية «بريد الليل» بناءً على آراء غولدمان الاجتماعية.

2. ضرورة البحث

بالنظر إلى أن مؤلفة رواية بريد الليل بوصفها الممثل المتنور لجماهير العالم العربي القابعة تحت الظلم ولاسيما الشعب اللبناني ومهاجري هذا البلد، تدأب جهداً لشرح وتفسير القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية لهذا البلد المستعمر، لذلك فإن دراسة الرواية الأنف ذكرها من منظار لوسيان غولدمان الاجتماعي يمكن أن يسترعى الاهتمام. وفي نهاية المطاف استطاع البحث الحالي أن يجيب على الأسئلة التالية:

- 1- إلى أي مدى يمكن دراسة رواية بريد الليل مع مكونات لوسيان غولدمان الاجتماعية؟
- 2- ما هي الأدوات الأدبية التي أفادت منها هدى بركات لإعلان مواقفها الاجتماعية؟

3. خلفية البحث

بما يتعلق برواية «بريد الليل» أنجزت حتى الآن أبحاث لا بأس بها يمكن الإشارة إلى بعضها بما في ذلك: أطروحة «تحليل العناصر القصصية في رواية بريد الليل لهدى بركات» (2019م) لحسين ياري. يتناول هذا البحث متبعاً طريقة تحليل المضمون، دراسة العناصر القصصية في رواية «بريد الليل»، ودرس هذا الأثر من منظار العناصر القصصية مثل: الشخصية والتشخيص، زاوية الرؤية والراوي، الثيمة، المشهد والديكور، الموضوع والحبكة. وتشير

1. غولدمان، لوسيان، (1998)، مقدمة في علم اجتماع الأدب، ترجمة محمد جعفر بوينده، طهران: دار نشر نقش جهان، ص 66.

2. غولدمان، نفس المصدر، ص 83.

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 208.

نتيجة هذا البحث إلى أن عنصرى التشخيص والثيمة يُعدان من أهم العناصر التي نجحت السيدة بركات في معالجتهما بشكل كبير للغاية.

مقال «كتابة الشهادة وتداولية الاعترافات في بريد الليل لهدى بركات» (2019م) لرضا عطية، مجلة نزوى الإلكترونية. إذ تناول هذا المقال دراسة تقنيات الرواية في قالب كتابة الرسالة، بيد أنه وبناءً على الدراسات المنهجية لم ينجز حتى الآن بحثٌ يتمحور حول الدراسة الاجتماعية لرواية هدى بركات «بريد الليل»، مقال «تجليات الميتا سرد في رواية بريد الليل» (2020م) تأليف سميرة خدادوردي وآخرون. تناول كتاب المقال بشكل حصري تقنية «القص الماورائي» في رواية بريد الليل، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن أسلوب السرد في رواية بريد الليل جاء على نحو يشارك القارئ الافتراضي في مسار السرد ويضطلع بدور فيه.

مقال «الكرنفال في رواية "بريد الليل" لهدى بركات» (2022م) لفاطمة أكبر زاده. تشير النتيجة المتأينة من هذا البحث أن هذه الرواية بمثابة كرنفال لمناهضة السلطة والقوة والإعلان عن وعي متبدل لا تحمله المجتمعات الإنسانية، حتى يشير إلى اضطرابات البشر ويوح بألامهم في الحرب والمهجرات القسرية ويحقق فكرة الحرية والمساواة. مقال «دراسة السرد الدرامي في رواية "بريد الليل" لهدى بركات» (2021م) لعللي بيراني شال وآخرون المنشور في مجلة «نقد الأدب العربي المعاصر». تناول الكتاب في هذا المقال من خلال معرفة نوع وأسلوب طريقة السرد في رواية ما بعد الحداثة لهدى بركات، دراسة عناصر السرد الدرامي بوصفها إحدى أدوات الرواية الجديدة، ليصار من خلال ذلك إلى دراسة كيفية استخدام هذه التقنية وطريقة تحليلها ووظائفها. وتُشير النتيجة إلى أن الرواية المعنية بالدراسة، تكونت من عدة أجزاء سردية يتضمن كل منها إحدى الشخصيات الرئيسة، حيث أن الغربة والتروح بوصفهما دالة عامة وشاملة، أفضت إلى إقامة اتصال بين هذه الأجزاء السردية. وعليه وبما أن الرواية المذكورة تصور الأوضاع والأحوال الاجتماعية للمجتمع اللبناني المعاصر، فإن إجراء بحث حول دراسة هذه الرواية دراسة اجتماعية بالاستناد إلى نظرية علم الاجتماع للوسيان غولدمان، يمكن أن يكون جديداً ومهماً من نوعه.

4. الدراسة والبحث

يعمد الباحث في علم اجتماع النصوص الأدبية، إلى تحليل ودراسة الموضوعات البارزة الموجودة في النص من منظور اجتماعي وثقافي واقتصادي وسياسي وكل شيء يرخي بظلاله على الأوضاع الاجتماعية لمجتمع ما. وغالباً ما تُعبر نتائج هذه المجموعة من الأبحاث عن الوضع الاجتماعي وآراء الكاتب والناس الذين تناول الأثر الأدبي مجتمعهم بالشرح والتحليل. يعتقد غولدمان أن سمات العمل الأدبي البارز والذي يتعين على الناقد أن يهتم بنقده من الناحية السوسيولوجية، عبارة عن:

1- طبيعة العمل المتناسكة تماماً والتي تستعرض القضايا الاجتماعية الراهنة أيضاً.

2- يرتبط ثرائها وغناها بأقصى قدر ممكن من وعي الكاتب.

3- الطبيعة الحقيقية أو الممكنة لمجموعة العناصر التي تشكل العمل، فإذا كان عالم الكاتب لا يشبه واقع زمنه، فإن رغبة المجموعة تصفه.

4- الطبيعة غير الفلسفية للأثر: لأن أي أثر قيم يُظهر الطرق العملية ولا يجري التعبير عنها بشكل مفاهيم فلسفية.¹

بالنظر إلى أن المباحث المتناولة في بريد الليل تشكل لغة معبرة عن الأحداث وتصف وضع مجتمع اللبنانيين المقيمين والمغتربين. فإن توازن محتوى بريد الليل مع القضايا الاجتماعية قائم ومحقق. وفي هذا الأثر أفضت تجربة حياة الكاتبة بوصفها لبنانية وكذلك مغتربة عربية في البلدان الغربية، إلى وعيها الأعظمي وفهمها العميق لقضايا الحياة الاجتماعية في هذين النمطين من الحياة. وعليه فالأثر يتحلى ببراء وغنى كافيين، ويعبر عن الطبيعة العميقة لحياة المجتمع اللبناني أيضاً. ومن جهة أخرى أفضت تجربة السيدة بركات لهذين النمطين من الحياة إلى أن تحمل روايتها صورة قريبة من الواقع، وفي نهاية المطاف لرواية بريد الليل طابعاً غير فلسفية بالكامل، وكُتبت بأسلوب أدبي في قالب الرواية. وفي المحصلة يمكن القول؛ نظراً لوجود مؤشرات ذات طابع اجتماعي، فمن وجهة نظر لوسيان غولدمان يمكن دراسة رواية بريد الليل وفق رؤية هذا الناقد المعاصر.

1.4. الفقر في المجال الاقتصادي والمجال الفكري-الثقافي

إن وصف معاناة وبؤس اللبنانيين وفقدهم وحرمانهم يعد أحد الجوانب الاجتماعية البارزة والصارخة في الدراسة السوسيولوجية للحياة الاجتماعية لهؤلاء الناس سواء في بلادهم أو في بلاد المغترب. كما أن انعكاس رغبات وتطلعات الشعب اللبناني من الناحية الاقتصادية والمهنية يبدو جلياً بشكل منسجم ومتواصل في كل صفحات رواية بريد الليل، بناءً على معتقد غولدمان في علم اجتماع الأثر الأدبي والفني «يكون الارتباط بين الأثر والمجتمع مؤثراً بشكل كبير عندما يكون الأثر أكثر انسجاماً ويكون مرتبطاً بشكل أكثر دقة بميول المجموعة الاجتماعية المميزة والرؤية الكونية الخاصة التي وفرت هيكلية الأثر وبنيته... فالأثر وفق هذه النظرة لا يُطرح كانعكاس لوضع المجتمع، على العكس من ذلك بل يُطرح بوصفه وصفاً متساوفاً جداً لرغبات العامل الجمعي، رغبةً إما لا يحققها أعضاء المجموعة أبداً أو يحصلون عليها في الأحداث العابرة والاستثنائية وحسب»²

يشكل موضوع مكافحة الفقر وتجنب الجوع والبطالة حلماً لطالما حلم الشعب اللبناني بتحقيقه ولا يزال، حتى المتزوجون حديثاً يهاجرون إلى دول الخليج الفارسي والبلدان الأوروبية. لكن تبقى تطلعات هؤلاء الناس ورغباتهم هناك في حدود الحلم: «أعني العرائس اللواتي بقين في البيوت بعد سفر العرسان إلى الخليج»³

1. غولدمان، نفس المصدر، ص 15

2. غولدمان، نفس المصدر، ص 91-92.

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 123.

ففي الجوع المستمر والفقر وما ينتج عنهما من الحياة في أماكن مكتظة ومعدمة بمستوى صحي منخفض، ثمة شهادة جيدة على ظروف الناس غير الملائمة. «أننا يتامى بلداننا، وأهلنا فقراء.»¹ واستعداد المرء لقبول أي عمل بأجر زهيد: «من يكون في مثل حالي لا يرفض عملاً بأي أجر كان.»²

في رواية بريد الليل بمعزل عن البطالة والفقر المادي، فقد واجهت ظاهرة الفقر تحديات كبيرة من الناحية الثقافية. إذ ينتشر على نطاق واسع في لبنان الفقر الفكري والثقافي في المجالات التربوية والعلاقات الأسرية. ويشير تجسيد المجتمع الأبوي والأساليب التربوية العنيفة وحرمان المرأة من حقوقها وسلب حريتها إلى تشعبات من الفقر الثقافي في لبنان والتي تنبع كلها على الدوام من الفقر المادي السائد في المجتمع. «لا أدري الآن إن كان ضرب أبي المتكرر بالحزام الجلدي أو بالعصا، قد أفادني أم أنه على العكس، كان يراكم داخلي نوعاً من الغضب، ليس غضباً فقط، كانت إهانة مستمرة، لا أجد حتى الآن لها مبرراً، حتى الآن يؤلمني جسمي من ضربه لأني كنت صغيراً وبرئاً، لم أفعل يوماً ما كان يستحق ذلك الضرب، كان يضربني دائماً أمام الناس، يجرحني خارج البيت ليرى الناس أنه يضربني وأنه يربي ابنه، أنه صحيح رجل فقير لكنه محترم ويعتنى بأسرته...»³

في المجتمعات الفقيرة في الدول النامية «ممارسة العنف الوالدين على الطفل وعنف الوالدين حيال بعضهما يظهر التأثير الواسع النطاق لفقر العوائل في ظهور هذه الظاهرة». ⁴ «قال: أخرج من بيتي وإياك أن تعود». ⁵

وفي معرض إشارة هدى بركات إلى الوضع الاقتصادي السيئ والمكانة الاجتماعية الدنيئة للمرأة لم تغفل عن جانبها الروحي والنفسي وحزنها العميق. «ليس لفقر النساء جانب اقتصادي وحسب، بل إن الجوانب النفسية والاجتماعية لفقر النساء مهمة أيضاً». ⁶ ففي بعض الأطوار يُفرضي الفقر الفكري والثقافي إلى حدوث كارثة تنذرُ السيدة بركات منها. فهي في سياق التحذير من التبعات، تدخل في موضوعات مثل الدفاع عن حقوق المرأة في اختيار أسلوب حياتها (الطلاق) ودعمها من قبل العائلة أثناء حدوث المشكلات مثل الطلاق وتأمين نفقات الحياة. إذ نشاهد في القصة امرأة فقيرة مطرودة من عائلتها (بسبب الطلاق) ونتيجة إهانة الأم وإساءتها والمصاعب التي تتجشمها لإعالة نفسها وابنتها، تُرغم على الهجرة ومن ثم تلجأ إلى العمل في البغاء؛ «بكيّت بحرقة على حياتي وقررت أن أشتغل مومساً، شرموطة وعاهرة، ما الفرق بين امتهان وآخر، وحده المال سيرفعني قليلاً عن روائح المراحيض وأوساخ الحضيض بما أن أُمي،

1. غولدمان، نفس المصدر، ص 123.

2. غولدمان، نفس المصدر، ص 124.

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 51

4. حاجي زاده ميمندي، مسعود (2009)، "دور الأسرة غير المستقرة على ظاهرة عمل الأطفال في محافظة يزد"، مجلة النظام الاجتماعي، العدد 3، ص

54

5. بركات، هدى (2018)، *بريد الليل، الطبعة الأولى*، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 56

6. شادي طلب، جاله، معصومة وهابي وحسن زمزار (2005)، "الفقر الداخلي ليس سوى جانب واحد من فقر النساء المعيلات"، مجلة الرفاه

الاجتماعي، السنة الرابعة، العدد 17، ص 1

أمي التي هي أمي، بدأت تضطهدي، كنت أنا قد أصبحت في السجن وأنا احتفظتُ بعلمي بنصف دوام في الفنادق.»¹

شكّل تشخيص أمراض المجتمع اللبناني وصحوة الطبقة الفقيرة في المجتمع، دافع هدى بركات وهدفها لمعالجة موضوع الفقر ووضع العمل لمواطني بلادها. لأن بركات مثل بقية المثقفين « ترى أن سبل التخلص من نير الاستعمار تكمن في إيقاظ الطبقة المعذبة.»² وانطلاقاً من هذا، تعرض بركات من خلال وصف الوضع الاقتصادي والاجتماعي للشعب اللبناني صورة دينامية ومؤثرة عن الاستعمار، وتتناول وصف الوضع الاجتماعي للناس المظلومين.

2.4 تشيؤ الشعب اللبناني

في رواية بريد الليل، يُعد كاتب كل رسالة البطل الإشكالي (الشخصية الإشكالية) لذلك القسم من الرواية. فهؤلاء الأبطال كانوا يسعون على الدوام خلف تحقيق آمالهم وقيم حياتهم المثالية وحتى أن بعضهم يصبح شريد الغربة في هذا السياق. لكنهم في نهاية المطاف باتوا الطرف الخاسر في هذه الحرب وكانت حصيلة مساعيهم الهزيمة وسوء المآل، لأن مثل هذه الروايات تُبنى في الأساس على وصف أحداث الحياة الانسانية المريرة والقيحة، وهي بعيدة كل البعد عن الخيال وحدوث المعجزات. ويرى غولدمان في علم اجتماع الرواية أنه: «بالنظر إلى تداعي كل القيم المادية والأخلاقية والجمالية والمعرفية بسبب قوانين السوق، فالقيم الثقافية الصادقة تتقوض في الواقع الاجتماعي وتفقد قيمتها ويتعذر إيجادها. وأولئك الذين ينبرون بحثاً عن القيم الصادقة هم أشخاص إشكاليون، لأنه يتعذر عليهم البقاء في مأمن من التأثيرات المدمرة للوسيط بين القيمة التبادلية والتشيؤ. ويقع الانسان الإشكالي والمهمش في المجتمع الفردي أسيراً للتشيؤ ولوسيط القيمة التبادلية، ويظهر في مجال الدراسات الجمالية كبطل في الرواية.»³

في بريد الليل فقدت الشخصيات البطلة قيمها الإنسانية النوعية والأصيلة، ويجري استخدامها في الغالب في قالب مفاهيم مثل التشيؤ والسلعية والاستخدام الأدوات وحسب. وفي هذا العمل الأدبي ثمة إشارة إلى بعض حقائق الحياة المريرة والتي تشير إلى النساء بوصفهن سلعة وذلك ليس بناءً على رغبة الآخرين وحسب بل بناءً على رغبتهم أيضاً. وهذا في حد ذاته يدل على انتقاص مكانة المرأة وعمق هذه النظرة في المجتمعات الراهنة، إذ أن المرأة نفسها تتقبل هذا الأمر أيضاً وحتى تسوغ له:

«من مراقص العجائز الذين يلتقون في العصر ويتفرقون بداية الليل؛ بين حلوى الغداء وحساء العشاء في البيت... أنا لا أقترّب إلا من الفرادى.»⁴

1. شادي طلب، نفس المصدر، ص 78

2. أميني، بريوش وأطهر تجلي أردكاني (2017م)، "دراسة تقنيات أحمد محمود في الوصف من منظور النقد ما بعد الاستعماري"، المجلة المتخصصة في دراسات القصة، السنة الخامسة، العدد الثاني، ص 8

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 176-177

4. بركات، نفس المصدر، ص 78

«لم أحجل يوماً من قبض المال الذي يقدمونه إليّ على أنه هدية... متواضعة. بل إنني كنت أشعر فعلاً بأني، في وحدتهم، أقدم إلى الواحد منهم خدمة.»¹

فأن تعمد أم إلى امتهان أكثر مهنة مبتذلة وتطرح نفسها كأداة كي تؤمن نفقات ابنتها، لكن في نهاية المطاف ترى أن ابنتها أيضاً يجري استخدامها بطريقة مخزنة أكثر منها، فهذا كله يدل على اهتمام بركات بالاستخدام الشئبي وانتقاص مكانة المرأة في مجتمع العصر الراهن؛ «وجدتها تعمل خادمة ورقاصة في بيت هو أقرب إلى الماخور. تزوّجها كما عشرات غيرها. وحين قابلته فوجئت بأنه ترانس؛ أي لا رجل ولا امرأة. رجل متبرج كالنساء ويلبس ثيابهن.» لم يبلغ موضوع التشيؤ في رواية بريد الليل منتهاه عند الاستغلال الربحي والشهواني للنساء. إذ تُظهر بركات هذا التابو في الجنس المذكر أيضاً. ويكشف هذا العمل أن الأساليب التربوية الخاطئة والفقر وأزمة الهوية تتدخل مجتمعةً بنحو أو بآخر في نزعة انسان العالم الثالث في العصر الراهن نحو الفساد والانحراف الجنسي. يقول رجل عربي في إحدى رسائل رواية بريد الليل: «لم أتردد في قبول بيع ساعات من ليلي لمن يعرض عليّ علاقة عابرة؟ كنّا في حاجة كبيرة إلى المال. لم أشعر بالعار من عملي مومساً.»²

ومن النقاط الأخرى التي تتضمنها آراء لوسيان غولدمان حول الشخص الإشكالي أو البطل الإشكالي في الرواية، أن هذه الشخصية «في مجتمع تحظى فيه القيم الكمية مثل السلع ورأس المال بأهمية أساسية، تبحث عن قيم نوعية وأصيلة وصادقة مثل الحرية والعدالة والحب، وتأسيساً عليه تُعد العزلة والوحدة والانطواء الملاذ الوحيد للإنسان الإشكالي في المجتمع الحديث.»³ خبوء جذوة المشاعر كالحب والمحبة في العائلة (التي تعد من عواقب الفقر)، حولت الجدة إلى إنسانة عديمة المشاعر والتي تباع حفيدتها وحتى ابنتها لقاء المال أيضاً؛ «راح كلام أمي يدور في رأسي، ألم تقم ببيعي لزوجي في مقابل المهر الذي جهّز وأراح رجال العائلة؟»⁴ تحظى المرأة في سياق المعايير الدينية والثقافية بحق الحصول على المهر، لكن العائلة تسلب هذا الحق، وفي الحقيقة يجري التعامل مع المرأة بوصفها سلعة للبيع، ويجري استعراض زاوية أخرى من ظاهرة تشيؤ المرأة وغياب الحب في حياتها الشخصية والعائلية.

3.4 الرؤية الكونية المشوبة بالدونية

يكون الأدب القصصي في بعض الأطوار معبراً عن الميول والاتجاهات الجمعية ويدل على طريقة التفكير المجتمعية، حيث أن الكاتب خرج من ذلك المجتمع، وبعبارة أخرى أحياناً تعبّر الرواية عن الرؤية الكونية والإيديولوجية للمجتمع، وهو نفس العامل فوق الفردي الذي يشكل الكاتب جزءاً منه. ويضطلع ابداع الكاتب وقدرته في عكس أحوال الناس الاجتماعية وطريقة تفكيرهم وتطلعاتهم بدور كبير. ومن وجهة نظر لوسيان غولدمان فهذا النهج يؤكد

1. بركات، نفس المصدر، ص 79.

2. بركات، نفس المصدر، ص 80.

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 66.

4. بركات، نفس المصدر، ص 77.

على الرؤية الكونية وانعكاس إيدلوجيا العامل الجمعي. فالرؤية الكونية بنظره عبارة عن؛ «مجموعة الأمنيات والمشاعر والأفكار التي تربط أعضاء مجموعة وأغلب أفراد طبقة ما ببعضهم وتضعهم في مواجهة مجموعة أو طبقة أخرى. وترتبط شمولية أي عمل قيم بهذه الرؤية الكونية؛ لأن الكاتب شخص بارز ونابعة حيث يسعه مسلحاً بأقصى حد ممكن من وعيه برغبات وأفكار المجموعة التي يعيش فيها، أن يجعلها متساوقة مع رؤيته الكونية.»¹ تعبر أغلب رسائل بريد الليل عن مشاعر ورغبات وأفكار طبقتين من المجتمع اللبناني؛ إحداها الطبقة الضعيفة والمتدنية من المجتمع والأخرى طبقة المغترين الذين نزحوا إلى الدول المتقدمة. ففي إحدى الرسائل يشير شاب عربي بشكل غير مباشر إلى الأحداث التي وقعت في حياته وحياته الكثيرين من أبناء بلاده، إلى تبلور المجموعات والأحزاب العديدة في لبنان الناجمة عن تعدد المجموعات الدينية-السياسية وتدخل المستعمرين الدائم، وفي نهاية المطاف يُبيح عملاء الأحزاب المخربة في المجتمع ممارسة أقصى مستويات الظلم ضد هؤلاء الناس بوصفهم أدنى مرتبة منهم؛ «لكنهم كسروني، كانوا يبولون عليّ ويتغوطون أيضاً، أكون غارقاً في بولي وفي غائطي وهم يأتون بالدلاء والجرادل من دورات المياه ويدلقونها عليّ، لم أعد أبالي بالألم، لكن الخوف الذي دخل روحي جعل أوقات الراحة عذاباً خالصاً، ليس الخوف من الموت، جهنم لن تكون أقسى عليّ من هنا.»²

وبسبب هذا النهج لم ينسى الشباب اللبناني الكثير من أحلامهم وحسب بل أصيبوا بنوع من الهزيمة الذاتية وتقبلوا الاعتقاد الناجم عن تخفيض مكانتهم وتموضعهم في مستوى أدنى؛ «أحياناً أفكر في أنني ذكر الضبع الذي نفتته الأم الأنتى، أي الحياة. ولن يقبل بي أي قطيع.»³

فق تعبير غولدمان «يتكون في الأثر الفني العظيم فقط وعي المجموعة الاجتماعية بنحوٍ يخلق فيه نوعاً من «الرؤية الكونية» أي شمولية ذات معنى من القيم والأعراف.»⁴ وبما أن اللبنانيين المغترين في البلدان الأجنبية يشكلون حشداً كبيراً، تعدّ الطبقة المغترية في رواية بركات بمثابة أشخاص من طبقة متدنية لا يحظون بقيمة تذكر وحسب بل لا يحظون بأي مكانة على الإطلاق، وحتى لا يُسمح لأحد منهم حتى الدفاع عن نفسه ويُعامل بازدراء واستحقار. وفي رسالة كتبها شخص عربي إلى أحد أقربائه، وصف هذه الرؤية على النحو التالي؛ «لن يكلمني أو يستمع إليّ أحد ابتداءً من هذه اللحظة. التحقت الآن بنفايات الطبيعة، كحيفة حيوان فاسدة. وهكذا، سيلقون بي في الطائفة ويربطون أطرافي إلى المقعد.»⁵

«حين خطر لي تجديد جواز سفري، بأني غير مرغوب في. احتفظوا بالجواز. قلتُ خذوه لا بأس.»⁶

1. غولدمان، نفس المصدر، ص 12-13.

2. بركات، نفس المصدر، ص 55.

3. بركات، نفس المصدر، ص 110.

4. غولدمان، نفس المصدر، ص 147.

5. بركات، نفس المصدر، ص 111.

6. بركات، نفس المصدر، ص 27.

كما شاهدنا في هذه الأدلة فجراء نوع المعاملة ونظرة الناس في بلاد المستعمرين إلى العرب المستعمرة بلادهم، نلاحظ وجود إجماع باعتقاده بدونيته وفوقية المستعمر وتفوقه وكذلك مجموعة من المشاعر والأفكار للعرب اللبنانيين.

4.4 أزمة الهوية في المجتمع اللبناني

إن الهوية الحقيقية لشعب أي مجتمع من المجتمعات تكون متجذرة في السمات الفردية للأشخاص والعوامل الثقافية والاجتماعية لأرضهم. بمعنى أن أي شخصية إلى جانب تمتعها بسمات شخصية متميزة، تتمتع بمجموعة خصائص جوهرية واجتماعية أيضاً، تقدمها بوصفها عضواً من مجموعة اجتماعية، لذا نحن نتعامل مع نوعين من الهوية؛ هما الهوية الفردية والهوية الاجتماعية. «والهوية الفردية هي هوية تدل على سمات الفرد، حيث يقوم الفرد بواسطتها بطرح خصائصه، وهذه الخصائص والسمات الفريدة هي التي تميز الفرد عن غيره»¹ والهوية الاجتماعية «تعني مجموعة من السمات الفردية والخصائص السلوكية التي يُعرف الفرد من خلالها بوصفه عضواً في مجموعة اجتماعية وتميزه عن الآخرين»²؛ وعليه فكل إنسان بوسعه أن يكون ممثلاً لشعب وأمة ينتمي إليها. وفي الأعمال الأدبية بوسع الكاتب أن يكون ممثلاً لشعب ينتمي إليه، ويكون عمله الأدبي معبراً عن الكثير من الأحوال الطارئة على ذلك الشعب. ويعتقد غولدمان أن «الكاتب ممثل كل الطبقات الاجتماعية التي خرج منها أو الطبقة التي يميل إليها تحت أي سبب من الأسباب، إذ يعتقد أن صيغة الرواية في الحقيقة هي ترجمة الحياة اليومية في المجال الأدبي وترجمة الحياة اليومية في المجتمع الفردي الذي هو حسيطة إنتاج السوق»³

تعدّ التزعة إلى الثقافة العربية وكذلك التقليد ومحاكاة الآخر بسبب الفقر والفاقة المادية من العوامل المؤثرة في أزمة الهوية العربية اللبنانية في الوقت الراهن. فهؤلاء الأفراد «لا يسعهم الخلاص من التأثيرات المدمرة لوسيط القيمة التبادلية أي التشيؤ»⁴ حيث نشاهد في رسالة أخرى اعتراف امرأة عربية عاهرة قائم على تغيير هوية الفتيات والنساء العربيات المغتربات وميلهن إلى سلوكيات لا تتعارض مع أعرافهن وقيمهن الثقافية في الدول الغربية وعودتهن إلى بلادهن متسربلات بالحجاب وسلوك يتباين مع سلوكهن في الغربية؛ «صرتُ أسمع برحلات البنات المتكررة إلى البلد. كيف تصل الواحدة محملة بالهدايا ذات الماركات؛ كيف تعرض مصاغها هناك على الزوّار الكثير؛ كيف تستأجر سيارة وتعمّر بيتاً وتريح أباهها من المشغل. ولا أحد يسأل نفسه من أين هذا كله. بما أن البنت محجّبة، وأحياناً كثيرة منقّبة، فكيف لأحد أن يشكك في أخلاقها»⁵

1. -عيوضي، محمد رحيم (2001)، الطبقات الاجتماعية ونظام الشاه، طهران: منشورات مركز الوثائق والثورة الإسلامية، ص 180.

2. أشرف، أحمد (بلا تاريخ)، "أزمة الهوية القومية والوطنية في إيران"، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر دانش، ص 523

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 27

4. زبما، بيبير (2000)، علم الاجتماع من وجهة نظريان وات، لوكاش، غولدمان وباختين "مقدمة في علم اجتماع الأدب"، ترجمة وتجميع محمد جعفر

بوينده، طهران: دار نشر نقش جهان، ص 97

5. بركات، نفس المصدر، ص 75.

تعدّ الواقعية النقدية من المحاور الرئيسة التي يمكن نقد رواية بريد الليل بناءً عليها وتحليلها من منظور علم الاجتماع. ودراسة مثل هذه الرأي يُعدّ من جملة الاستراتيجيات النقدية للبحث الحالي لجهة نقد انفصام هوية طبقة المعترين الناطقة بالعربية في مجتمع متقدم أو بعبارة أدق في العالم الأول. ويكشف إمطة اللثام عن العلاقات وطريقة تواصل الغربيين مع الطبقة الاجتماعية الشرقية المهاجرة وكذلك انعكاس الظلم، يكشفُ ازدراءً هذه الطبقة في العالم الحديث. «تفكر الواقعية النقدية في التعامل بين الطبقتين الدنيا والعليا وتنتقد بجلاء العلاقات القمعية للبرجوازية وتكشف الأعمال المتناقضة للإيدلوجيا البرجوازية».¹ تناولت بركات في رواية بريد الليل بنظرة واقعية ونقدية قضية أوضاع النساء المهاجرات في الغرب، ولها نقد عميق لمكانة المرأة في العالم الحديث، المكانة التي تعبر بجلاء عن الكثير من التطلعات الفكرية والثقافية للمجتمعات المتقدمة اتجاه المرأة. حيث أن رجال البلدان المتقدمة هم الذين يحددون دور المرأة الأجنبية وأهميتها في مجتمعاتهم. وتفسر بركات نفوذ وسيطرة هذا الفكر على حياة النساء الشرقيات وتغيير هويتهن على النحو التالي؛ إذ تقول المرأة العربية: «أؤدّي دور الشابة البسيطة حدّ الهبل، فهم، في أعمارهم التي وصلوا إليها، يفضلون هذا النوع. يرونه أيضاً في لباسي الذي أحرص على أن يكون من موضة قديمة، من الأيام التي كانت تعجبهم فيها النساءُ وتذكرهم بشبابهم».²

5.4 الأزمة الأمنية في المجتمع اللبناني

لبنان دولة صغيرة فيها العديد من التقسيمات العرقية والدينية. حيث حوّل هذا التنوع لبنان إلى مجتمع منقسم، وأثر هذا الأمر على السياسة والاقتصاد وسائر الأمور الاجتماعية للناس؛ وفي الحقيقة «لبنان بلد معقد يضم أعراقاً وعشائر واتجاهات دينية متنوعة، وعلى الرغم من أنه يعد من الوحدات السياسية المستقلة في العالم العربي، فقد حول التنوع العرقي والديني هذا البلد إلى جزيرة صغيرة مليئة بظواهر متناقضة ومتنوعة».³ وعالجت بركات موضوع الحرب في مجالي الخلافات والحروب الداخلية والتي غالباً ما تنشأ بسبب اتساع وتعدد الأحزاب والمذاهب والحرب الخارجية التي تشير إلى مشاركة عناصر تنظيم داعش التكفيري فيها؛ لأن هذه القضية تفضي إلى نشوب أزمات أمنية واجتماعية وهروب اللبنانيين من أرضهم وهجرتهم إلى دول أخرى (لاسيما أوروبا) وفي نهاية المطاف مواجهة هؤلاء الناس لظاهرة الإسلام فوبيا في الغرب.

نقرأ في أقسام من بريد الليل أن ذكرى شخصيات هذا العمل حول جمال دولة لبنان والذي يُشار إليها بوصفها عروس الشروق الأوسط، بقيت مجرد حنين وذكريات بعيدة، لأن الحرب مزقتها آلاف القطع منذ مدة طويلة ولم يتبقى منها سوى الخراب والدمار؛ «إذن، لستُ هنا في هذه الغرفة كي أعود إلى الوراء، ولا كي أراك وأرى معك

1. تسليحي، علي (2017)، دراسة نقدية تطبيقية في المدارس الأدبية، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر كتاب أمه، ص 189

2. تسليحي، نفس المصدر، ص 78

3. فراتي، عبد الوهاب ومهدي طاهري (2008)، دور الإمام موسى الصدر في رفع مكانة الشيعة في لبنان، مجلة دراسة الشيعة، السنة السادسة، العدد

24، ص 214.

كيف كنتُ أنا صبيّة، وكيف كان الربيع جميلاً وقوياً في البلاد. البلاد التي انقضت، وقعت وتشظّت كآنية كبيرة من زجاج. سيكون ذلك مؤاساة وحزناً خالصاً ومرارة.¹

«لا في طفولتي ولا في شبابي ما يستدعي ذلك الحنين الذي يشبه السجن. إذن لست هنا في هذه الغرفة كي أعود إلى الورا وكيف كان الربيع جميلاً وقوياً في البلاد.»²

فهذا المصير المرير لا يُشير باستعادة ذكريات بلاد اللبنانيين الجميلة الحزن والحسرة وحسب، بل يشعر العربي جراء هذا المصير والعاقبة بالأسى والأسف حيال بلاده وحتى يعد ولادته في هذا البلد مبعثاً للبؤس، ويعتبر التروح والحرب جزءاً ثابتاً في حياته؛ «سنوات وأنا أهرب لأنني ولدتُ في أرض ملعونة وها أنا على باب الإعدام»³

في لبنان «حرب المجموعات والأجنحة السياسية المتنفذة وكذلك المنافسة المستعرة بين القوى الإقليمية والدولية، حول هذا البلد إلى ساحة لبروز الصراعات وتسوية الخلافات، ودفعه إلى هاوية الأناركية.»⁴ لذلك الحرب في لبنان لا تنحصر بين العناصر الداخلية وحسب بل ضاعف وجود تنظيم داعش من معاناة هذا الشعب خلال السنوات الماضية. «يشكل العنف الجوهر الرئيس لتنظيم داعش على نحوٍ عد فيها كل شيء خارج العقائد السفلية كفرةً وينبغي لمقارعته وتدميره، وبناءً على ذلك في حال قتلٍ أو تصفية شخص كافر يصلون إلى السعادة ويعدون قتل الكفار جهاداً في سبيل الله.»⁵

وفي بريد الليل ثمة إشارة إلى وجود داعش والدمار الناجم عن هذا الوجود، إذ تشكل أوضاع المدن المنكوبة ومجازرهم وجرائهم أهم تحدي اجتماعي وسياسي مطروح في لبنان. وفي هذه الرواية قامت بركات بتجسيد موضوع حرب داعش وتبعات هذا الوجود المشؤوم في حياة الشعب اللبناني على النحو التالي؛ «الحروب والمعارك التي نزلت من السماء أو صعدت من جهنم، لا أحد يفهم كيف، أو لماذا، داعش، داعش يقولون وتهرب الخلائق وتموت على الطرقات، أو تختبئ في زرائب الحيوانات، حتى الحيوانات دشرت في الفلاة أو أكلها الناس جيفاً، أنا أيضاً هربت مراراً ثم كنت أعود لأقبض راتبي لو كان لي زوجة أو أولاد لما استطعت الرواح و المحيء هكذا، أعني أن أتركهم في المخيمات أو علي الطرقات فلا أعود أجدهم في أي مكان من أرض الربّ الواسعة، أفكر أحياناً في أنني لن أعيش حتى تنتهي داعش، داعش أو غيرها.»⁶

6.4 انعكاس الثقافة الشعبية والفولكلور

1. بركات، نفس المصدر، ص 41

2. برکات، نفس المصدر، ص 32-41

3. برکات، نفس المصدر، ص 110

4. السماك، محمد (1984)، القرار العربي في الأزمة اللبنانية، بيروت: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ص 60-62.

5. عيوضى، محمد رحيم، وفلاح حسيني، مهسا (2017)، "الإسلاموفوبيا والسيناريوهات المستقبلية"، مجلة دراسات سياسية في العالم الإسلامي،

السنة السادسة، العدد 23، صوفلاح حسيني، 2017: ص 884.

6. برکات، نفس المصدر، ص 124 و 125.

عادةً في الروايات التي تتناول الوضع الاجتماعي لأحد المجتمعات، تحري الإشارة بين شدة وضعف إلى بعض القضايا الشعبية والبسيطة في حياة الناس. كما أنه «وفق رأي غولدمان، كتابة رواية كنوع أدبي لا يتضمن أي نقطة مثيرة للتعجب، فالصورة المعقدة للغاية التي تطرحها الرواية في الظاهر، هي الصورة نفسها التي يعيش الناس في سياقها يومياً.»¹ وشرح هذه الصورة البسيطة لحياة الناس في الرواية يمكن أن يجري بواسطة الكاتب بدافع نقد وتحليل طريقة وأسلوب حياة مجتمع ما ومعتقداته وثقافته.

في الرواية المذكورة، عالجت رواية بريد الليل من خلال دراسة تأثير الثقافة الشعبية والفولكلور بنمط الإشارة عادات وتقاليد الزواج والحكايات الشعبية والأشعار وأغاني المطربين العرب المشهورين واستخدام اللغة العربية. على سبيل المثال، يشكل زواج الفتيات القاصرات أهم عنصر من عناصر الثقافة المشرقية ولاسيما لبنان. هذه الثقافة التي تتبرم منها أحياناً شخصيات الرواية المؤنثة وتذكرها بانزعاج: «أمي كانت سبب زواجي التّعس وأنا بعد لم أتمّ الرابعة عشرة. وهي لم تغفر لي طلاق، ولا أنت.»²

«أفهمتي أن أمي زوجت ابنتي بالقوة، وهي اليوم مع زوجها في الخليج. تحريّنا كثيراً أنا وأمّ رشيد، التي تعرف الشيخ الذي زوج ابنتي القاصر...»³

رسائل بريد الليل فضلاً عن الإشارة إلى ثقافة زواج الفتيات القاصرات والظروف الخاضعة لسطوة هذا التقليد والتي تخيم على هذه الطبقة الهامة من المجتمع، تتناول بلغة حوارية رواية مؤلمة ومعبرة عن أحوال الناس.

وبمعزل عن شرح قصة دينية والإشارة إلى صبر أيوب التي تعد من الطواهر الدينية المعروفة في المشرق، فالإشارة إلى الحكايات الشعبية وأغاني الحب، تشكل جانباً آخر من نهج شخصيات رواية بريد الليل لجهة التعبير عن مشاعرها واستحضار ثقافتها الفولكلورية. لأن «الأغاني الشعبية تشكل جزءاً من الأدب الشعبي وتتضمن كل الآثار الموزونة التي تُغنى بصيغة المواويل وضرب الأمثال والأسطورة والألغاز وأغاني العمل والتراويل الدينية وأغاني التهويدات وترانيم اللعب والأعراس، وأغنيات الأطفال والتي كانت رائجة بين الناس. وكانت لغة هذه الأغاني هي اللغة العامية المحكية.»⁴ وعلى سبيل المثال، إشارة بركات المقتضبة إلى حكاية الشاطر حسن وغناء فريد الأطرش: «يا بنتي؟ ألم يكن ذلك «الاعتراف» كافياً؟ حتى الشاطر حسن شرحوا له ما هو مطلوب للفوز بالأميرة ستّ الحسن. بعد ذلك قفزت السمكة التي تحوي الجوهرة إلى حرجه. هل أذهب إلى صيد السمك؟! هل أغنيّ لفريد الأطرش؟ إنه سوء فهم فظيع و...»⁵

1. غولدمان، نفس المصدر، ص 31.

2. بركات، نفس المصدر، ص 75.

3. بركات، نفس المصدر، ص 80.

4. ميرصادقي، جمال، (2007). الأدب القصصي، طهران: دار نشر سخن، ص 75.

5. بركات، نفس المصدر، ص 16.

يعد استخدام اللغة العربية أداة قوية للمقاومة والحفاظ على هويتها ضد المستعمرين. ووفق غولدمان «الرواية في الحقيقة هي مصير بطل إشكالي يبحث عن قيمه.»¹ وفي رواية بريد الليل تُظهر هذه القيم نفسها أحياناً في شكل قيم ثقافية وعناصرها؛ لأننا نشاهد في الرسائل أن العرب المهاجرين بوصفهم أبطالاً إشكاليين رغم أنهم ضيوف غير مدعوين في الدول الاستعمارية ويمجدون اللغة الفرنسية، يتحدثون بلغتهم الأم. ويشدد ظهور هذا النهج لاسيما في اللحظات التي تبلغ فيها مشاعر الشخصية الرئيسة أوجها (أحياناً الغضب والقلق). «أشرق بدموعي صارخاً بالعربية كي لا يفهمني أحد.»² «صرت أشتم وأزعق بالعربية»³. «أخريش أيّ كلام بالعربية فأحرمها لمسي، قائلاً إنني أولّف كتاباً عن الحرب.»⁴

5. الخاتمة

لقد أظهر التحليل السوسيولوجي لرواية "بريد الليل" على ضوء آراء لوسيان غولدمان ما يلي:

إن مضمون هذه الرواية هو انعكاس للوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي في لبنان، وقد طرحت هدى بركات هذه القضايا بأسلوب الواقعية النقدية. ومن ضمن أهداف هدى بركات في هذا العمل هو تحقيق عدة عوامل مهمة مثل النظرة الاستعلائية والدونية والتعبير عن المشاعر ووصف الحزن وتصوير العديد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشعب اللبناني ومهاجري هذه البلاد على أنهم عمال استثنائيين. يقدم المؤلف من خلال المنهج النقدي، نقداً واضحاً وأساسياً لطريقة تقييم الأشخاص المنتمين إلى مجتمعات العالم الثالث وأساليب التعامل معهم، حيث إنَّ أوضح دليل على هذا الادعاء في رواية "بريد الليل" يدل على الدور الذرائعي والشهواني للنساء المهاجرات في البلدان النامية.

لقد نجحت هدى بركات باعتبارها امرأة مهاجرة، في تصوير التحدي القائم بين التقاليد والحداثة، والقلق، والتناقض الثقافي، وأزمة الهوية التي يواجهها المهاجرون، وتصرح بوضوح على أنَّ المرأة تشكل هويتها في ظل هيمنة الثقافة السائدة في البلد المضيف.

إنَّ التطرق لظاهرة الحرب على الصعيدين الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى تداعيات وجود تنظيم داعش في تصوير العرب اللبنانيين كإرهابيين على المستوى الدولي، كشف عن تأثير بعض القضايا السياسية على حياة المجتمع اللبناني، وهو ما يظهر الأوضاع المتأزمة والخرجة التي يعيشها الشعب اللبناني ومهاجري هذه البلاد، في وطنهم وفي الدول الأوروبية أيضاً.

وقد تم استخدام عناصر الفلكلور والثقافة الشعبية في هذه الرواية من أجل التعبير عن رغبات ومشاكل الشعب والمجتمع في جوانب مختلفة مثل بث الشكوى والحديث عن الآلام، ووصف حال الشعب اللبناني ومهاجري هذه

1. غولدمان، نفس المصدر، ص 21.

2. غولدمان، نفس المصدر، ص 21.

3. غولدمان، نفس المصدر، ص 64.

4. برکات، نفس المصدر، ص 66.

البلاد في المنفى، وشرح حالة النساء والفتيات والظروف والمعتقدات الخاطئة والتقليدية التي تسيطر أحياناً على هذه الشريحة المهمة من المجتمع، حيث تم سردها بلغة الخطاب.

6. قائمة المراجع

- اسكارييت، روبير، (1997م)، علم اجتماع الأدب، ترجمة مرتضى كتي، الطبعة الثانية، طهران: منشورات سمت.
- أشرف، أحمد، (بلا تاريخ)، أزمة الهوية القومية والوطنية في إيران، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر دانش.
- أميني، بريوش، وأظهر تجلي أردكاني (2017م)، دراسة تقنيات أحمد محمود في الوصف من منظور النقد ما بعد الاستعماري، المجلة المتخصصة في دراسات القصة، السنة الخامسة، العدد الثاني، صص 26-7.
- السماك، محمد، (1984)، القرار العربي في الأزمة اللبنانية، بيروت: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.
- بركات، هدى، (2018)، بريد الليل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.
- تسليمي، علي، (2017)، دراسة نقدية تطبيقية في المدارس الأدبية، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر كتاب آمه.
- حاجي زاده ميمندي، مسعود، (2009)، دور الأسرة غير المستقرة على ظاهرة عمل الأطفال في محافظة يزد، مجلة النظام الاجتماعي، العدد 3، صص 52-29.
- زرافا، ميشيل، (2007)، علم الاجتماع للأدب القصصي (الرواية والواقع الاجتماعي)، ترجمة نسرین برويني، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر سخن.
- زيماء، بيير، (2000)، علم الاجتماع من وجهة نظر يان وات، لو كاش، غولدمان وباختين، مقدمة في علم اجتماع الأدب، ترجمة وتجميع محمد جعفر بوينده، طهران: دار نشر نقش جهان.
- شادي طلب، جاله، معصومة وهابي وحسن رمزيار، (2005)، الفقر الداخلي ليس سوى جانب واحد من فقر النساء المعيلات، مجلة الرفاه الاجتماعي، السنة الرابعة، العدد 17، صص 24-1.
- عيوضي، محمد رحيم، (2001)، الطبقات الاجتماعية ونظام الشاه، طهران: منشورات مركز الوثائق والثورة الإسلامية.
- عيوضي، محمد رحيم ومهسا فلاح حسيني، (2017)، الإسلاموفوبيا والسيناريوهات المستقبلية، مجلة دراسات سياسية في العالم الإسلامي، السنة السادسة، العدد 23، صص 92-75.
- فراقي، عبدالوهاب ومهدي طاهري، (2008)، دور الإمام موسى الصدر في رفع مكانة الشيعة في لبنان، مجلة دراسة الشيعة، السنة السادسة، العدد 24، صص 238-213.
- غولدمان، لوسيان، (1998)، مقدمة في علم اجتماع الأدب، ترجمة محمد جعفر بوينده، طهران: دار نشر نقش جهان.

- غولدمان، لوسیان، (1990)، النقد التكويني، ترجمة محمد تقي غياثي، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر بزرجمهر.
- غولدمان، لوسیان، (1992)، علم الاجتماع الأدبي (دفاع عن علم اجتماع الرواية)، ترجمة محمد جعفر بوینده، طهران: دار نشر هوش ابتکار.
- میرصادقي، جمال، (1998)، قاموس فن كتابة القصة، طهران: دار نشر کتاب مهناز.
- میرصادقي، جمال، (2007)، الأدب القصصي، طهران: دار نشر سخن.